و اقع التعليم في تلمسان من خلال المدارس العربية والكولونيالية

1900-1954

The situation of Education in Tlemcen through Arabic and Colonial Schools 1954-1900

بن دادة رضوان

جامعة جيلالي ليابس - سيدي بلعباس

bendadadoctora@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2026/02/07 تاريخ القبول: 2026/02/08 تاريخ النشر: 2026/02/21

الملخص:

بالرغم من المحاولات العديدة للإدارة الاستعمارية من أن تُفشل إرادة الشعب الجزائري في تمسكه بهويته الوطنية وبالأخص في لغته العربية التي لطالما نمّا بها شعوره الانتمائي، فها هي تلك الكتاتيب القرآنية والمدارس العربية تقف صدًا منيعا في وجه هذه السياسة الاستعمارية التي سعت إلى إيجاد خطط بديلة، فراحت تأسس المدارس الفرنسية وترغّب فيها بغيت الابتعاد عن المدارس الحرة العربية.

والحديث هنا يأخذنا إلى أن ننوه على بعض تلك المدارس العربية، ونخص بالذكر في مدينة تلمسان أين سعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى تأسيس لمنارة العلم " دار الحديث" وجعلها مدرسة عربية تنطلق من خلالها روح الوطنية والشعور بالهوية الوطنية.

الكلمات المفتاحية: المدارس العربية؛ المدارس الفرنسية؛ دار الحديث؛ المدرسة؛ تلمسان.

Abstract:

Despite the persistent efforts of the colonial administration to suppress the Algerian people’s determination to preserve their national identity—particularly the Arabic language, which constituted a fundamental pillar in shaping their sense of belonging—Qur’anic schools and Arabic educational institutions remained steadfast in resisting these

colonial policies. In response to this resistance, the colonial authorities adopted alternative strategies by establishing French schools and actively promoting them in an attempt to marginalize free Arabic education. Within this historical context, it is essential to draw attention to several of these Arabic educational institutions, particularly in the city of Tlemcen, where the Association of Algerian Muslim Scholars undertook the establishment of a prominent center of learning known as Dar al-Hadith. This institution functioned as an Arabic school that played a crucial role in nurturing national consciousness and reinforcing the Algerian national identity.

Keywords: Arabic Schools; The Colonial School; Dar al-Hadith; Meddersa; Tlemcen.

المقدمة:

ذهب بعض المؤرخين الفرنسيين إلى أن وضع التعليم في الجزائر قبل الاحتلال كان متدهورا، وأن نسبة الأمية جد مرتفعة بين السكان وذلك بغرض الترويج لوهم الرسالة الحضارية التي جاء بها الاستعمار لكن الحقيقة خلاف ذلك. فالتعليم كان مزدهرا في الجزائر عامة وفي المدن الرئيسية كتلمسان وقسنطينة خصوصا، وكان يمارس بمستويات مختلفة ابتدائي وثانوي وعالي، وله مؤسسات وعلماء وإيجازاته وذلك بشهادات الفرنسيين أنفسهم ففي تقرير للجنرال دوما Dumas حيث بلغ نسبة التدريس حوالي 40% فكان اغلب الجزائريين يعرفون القراءة والكتابة والحساب خصوصا في المدن العريقة كتلمسان وندرومة، ومعسكر، وبجاية، ومازونة وقسنطينة، والمدية، وغرداية. حيث كانت الكتاتيب والمساجد والزوايا تقوم بمهمتها في تعليم الأمة وتنشئتها التنشئة العربية.

مثلا تلمسان والتي كان عدد سكانها خلال الاحتلال يتراوح ما بين 12000 و15000 حيث كان بها خمسين مدرسة ابتدائية وثلاثة معاهد للتعليم الثانوي والعالي، لكن إذا كنا نعرف عدد المدارس الموجودة في كل من تلمسان والجزائر وقسنطينة فإننا لا نعرف عدد المدارس التي كانت موجودة في كامل التراب الجزائري فأقر الجنرال الفرنسي بيليسيهPelissier

سنة 1860 حيث قدر عددها بـ 2000 مدرسة يرتادها 27000 تلميذ فهذا العدد الهائل من المدارس والنشاط الثقافي تم تحقيقه في غياب سلطة مركزية حريصة على وضع سياسة عامة لضبط تطور وتسيير قطاع التعليم بالجزائر المستعمرة.

ومنه يمكن طرح الإشكالية التالية: ما مدى مساهمة المدارس العربية في إحياء الوعي الوطني؟ وإلى أي درجة كان لها ذاك التأثير لمواجهة السياسة الاستعمارية الفرنسية؟

ويهدف هذه المقال إلى تسليط الضوء على واقع التعليم بالجزائر خلال الفترة الكولونيالية والتي استهدفت طمس مقومات الشخصية الجزائرية، كما اتبعت منهجا تاريخيا سرديا يعمل على وصف واقع التعليم في تلمسان خلال الفترة الكولونيالية من خلال المصادر المتخصصة، كما حاولت أن أقف على مقارنة التعليمين بالاعتماد على المنهج التحليلي الاستنباطي .

1- المدارس التعليمية العربية والحرة:

1-1- المساجد والكتاتيب:

وصل عدد المدارس الحرة المسموح لها بالتعليم في مدينة تلمسان الى 34 مدرسة سنة 1937 وكانت الأسر في مدينة تلمسان كغيرها من مدن الجزائر تقوم بتعليم أبنائها، وهذا بداية من الكتاب وعلى يد الدرارين[1]، أو معلمو القرآن الذين يقومون بتحفيظ القرآن والمتون في العلوم الشرعية بالإضافة إلى اللغة والرسم القرآني

كما أن رغبة تحفيظ القرآن للأطفال نابعة من رغبة آبائهم، ورغبتهم وهذا التعليم لديه برنامج مسطر حيث يبدأ الطفل الحفظ مع الساعات الأولى بعد صلاة الفجر تتخللها فترات راحة مع صرامة الشيوخ التي تعود عليها الأطفال وذلك لصناعة رجال المستقبل. وأما طريقة التعليم فكانت تعتمد حسب عمر الطفل فإذا كان صغيرا يلقن السور القصيرة سمعا، والتي يحفظها بعد تكرار قراءتها مع المعلم، ثم عندما يكبر ويصبح سريع الفهم والحفظ ينتقل

إلى المستوى الثاني، وهو الكتابة على اللوح من الجهتين ثم يقوم بحفظه، ويعرضه على المعلم الذي يقرر مدى حفظ الطالب ليعطيه الموافقة ليكتب السورة الموالية كما أن معلم القرآن يركز على المراجعة اليومية والأسبوعية فرديا وجماعيا حتى يتأكد من الحفظ السليم ومن باب المتابعة أيضا ومن أشهر المدارس القرآنية بالمدينة مدرسة الشيخ محمد السعيد الزاهي الذي دخل مدينة تلمسان في سنة 1929 وعمل متطوعا في تحفيظ القرآن الكريم إلى جانب تدريس اللغة العربية حيث أصبحت المدرسة السباقة وتحتل المراتب المتقدمة من التعليم العربي والمجددة للروح التعليمية الإسلامية بالإضافة إلى مدرسة الشيخ بكار مراح وبها قسمين الأول: لتدريس وتحفيظ القرآن والثاني لتدريس الكبار العلوم الدينية واللغوية والتي ضمت أكثر من 200 طفل مع تدريس الكبار كذلك.

2.1- الزوايا الدينية:

عرفت الزوايا الدينية التي كانت تفتح بشكل مؤقت في المدينة وهذا راجع لسفر شيوخها غربا وشرقا في طلب العلم والمعرفة مثل الشيخ بوعروق[2]،الذي كان يدرس قبلا بالمسجد الكبير، كما تأسست في المدينة سنة 1936 زاوية الشيخ أحمد العقباني فخصص بها قسما لتحفيظ القرآن وقسما للتكفل بالأطفال المعوزين وتعليمهم وإيوائهم بالمدرسة كما يعتبر نشاط التعليم القرآني للزاوية الدرقاوية بتلمسان للشيخ محمد بن يلس دورا إيجابيا في تحفيظ وتعليم وشرح رسائل وكتب الفقهاء والعلماء مثل تدريس شروح مختصر خليل الفقهي ورسالة أبي يزيد القيرواني والكتب الخاصة بالعقائد للشيخ السنوسي إلى جانب تدريس كتاب الموطأ للإمام مالك وألفية ابن مالك ومختصر خليل في الفقه فقد اهتمت الزوايا الدينية بمدينة تلمسان إلى جانب تحفيظ القرآن الكريم وتدريس أصول الدين واللغة بإرسال طلابها إلى زوايا أخرى خاصة بالتعليم ومعاهد دينية وعلمية كما عملت على مواكبة التطورات الحاصلة التي

مست المجتمع التلمساني كما كان لزوايا دينية أخرى في مدينة تلمسان مثل الهبرية والعيساوية والشاذلية بإرسال طلبتهم إلى زوايا قرآنية وعلمية منتشرة بمنطقة تلمسان، هذا التنسيق والتلاحم يضمن استمرارية تكوين طلبة العلم الذين سوف نراهم أسود في نضال الحركة الوطنية، وفي الحقيقة هي طريقة واضحة لدى الزوايا الدينية التي تحرص على العلم داخل المجتمع التلمساني من جميع حذافيره بل تعدت إلى روح النضال و المقاومة الوطنية، كما لا ننسى أن دور الزوايا لم يقتصر على تحفيظ القرآن فقط بل تعدى إلى حفظ المتون[3] المعروفة كمتون ابن عاشر، الهمزية، وألفية ابن مالك، والأجرومية، ومتن ابن الجزري، في التجويد. وغيرها من المتون، وبعدما يختار الطالب الدراسة في المدن الكبرى مثل الجزائر العاصمة، أو مازونة، وهران، تلمسان، قسنطينة، وهذا من أجل التخصص في أحد العلوم الشرعية أو المدنية أو اختيار اللجوء إلى العمل أو مع الالتزام بالأخلاق الإسلامية والمحافظة عليها.

أو في الغالب كان الطالب يوجه إلى المدارس الشرعية كجامع الزيتونة بتونس أو القرويين بفاس أو الأزهر بمصر إذا هذا التوجه يوضح لنا أن الجزائريين كانوا متمسكين جدا بالتعليم الشرعي، ورغم الصعاب والعوائق المطبقة من الإدارة الفرنسية.

2- الدور الإصلاحي التعليمي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تلمسان1937:

منذ تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى تلمسان أي مطلع الثلاثين ركزت على محورين أساسيين هما نشر التعليم العربي الحر والنشاط الإصلاحي الديني بردع النشاط والسياسة الفرنسية في المدارس وخصوصا على السياسة التغريبية.

فعملت الجمعية على توثيق الصلة الصحيحة بربط المتعلمين والعامة من السعي بالثقافة الإسلامية الصحيحة.

فكان هذا التدقيق هو الاعتقاد الصحيح للوصول الى ردع وتطويق التجهيل الفرنسي وإيجاد مناعة فكرية وثقافية توصل الجزائريين إلى الاستقلال مستقبلا كما وفرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للتعليم العربي طرقا ووسائل تتماشى والظروف مثل توفير مقاعد لجميع الأطفال المحرومين من التعليم وتطويق تلك الخرفات الجاهلية (الشعوذة والبدع ومحاربة سياسة الإدماج والتنصير، فكان لابد من إنشاء مدارس ومراكز تعليمية حرة لمجابهة التعليم الفرنسي رغم القبول الحذر للتعليم الفرنسي- فالابراهيمي لم يعارض هذا التعليم لما فيه مصلحة مستقبلية علما وعمليا، ونلاحظ من خلال نشاط الجمعية شمول التعليم الإناث و الذكور خاصة الفئة الفقيرة وهذا من أجل تكافؤ الفرص في التوعية الشاملة.

لقد كانت فترة الأربعينيات وبداية الخمسينيات من القرن العشرين 1940-1950 تمثل المرحلة الذهبية للنشاط الحركة الاسلامية والدينية في مدينة تلمسان باعتبارها عاصمة الإصلاح الديني في الغرب الجزائري.

فمواجهة التميز العنصري المفروض على الجزائريين قليل جدا مقارنة بالسوء من نشاط المدنية المسلمين، وكذلك مواجهة الثقافة الفرنسية رغم قلة الإمكانيات والوسائل فمدرسة دار الحديث والتي تبث نسقا إسلاميا راقيا جدا حفاظا على التراث من جهة وتوفير الملاذ لائق وحسن للتلاميذ والأساتذة للعمل على ظروف مريحة.

1.2- تأسيس مدرسة دار الحديث بتلمسان 1937:

سطع نور العلم والمعرفة والحركة العلمية منذ استقرار الشيخين عبد الحميد بن باديس والبشير الابراهيمي في مدينة تلمسان خلال سنوات 1923-1927 1934-1937 أي

مطلع الثلاثينات وهذا رغم الصعاب والعوائق مثل المشكل المقر والذي أخذ حيزا كبيرا من اهتمامات الحركة الإسلامية بتلمسان فكانت البداية في الزوايا ثم النوادي بإلقاء الدروس داخل المدينة.

هذا الوضع استمر لعدة سنوات بعدما تقرر شراء قطعة أرض والمتمثلة في مستودع لبيع الحبوب بشارع بوماريا وسط مدينة تلمسان.

بعد توثيق استكمال شراء من طرف الجمعية الثقافية التلمسانية، بدأت أشغال البناءات في 1936/02/17 والذي دام 8 أشهر، فبنيت بنمط أندلسي إسلامي بثلاث مستويات طابق أرضي مقسم إلى جزأين قسم مصلى والآخر قاعدة وضوء ثم طابق أول به قاعة محاضرات ومكتب إدارة ثم طابق أخير به خمس أقسام تعليمية وتم فتحتها بتاريخ 27 سبتمبر 1937[4]وإذ تطرقنا إلى الصراع المدرسة فهو مستمر من أحد الأصول الدين الإسلامي وهذا الحديث، كما هو مقتبس من مدرسة دار الحديث بدمشق السورية،، كما بنيت مدرسة صغيرة بجانبها سميت بمدرسة عائشة أم المؤمنين.

أما من حيث البرنامج التعليمي للمدرسة فكان لها فريق مكون من نخبة من الأساتذة وعلى رأسهم الشيخ البشير الإبراهيمي والأستاذ مولاي الحسن البغدادي، والأستاذ محمد بابا أحمد والهادي السنوسي، فركز البرنامج على تعليم اللغة العربية[5] والمكيفة حسب التلاميذ للمرتبطين بالمدرسة الفرنسية حتى الأحرار كان لهم برنامج الى جانب الإناث.

ومنة خلال العلوم التي كانت تدرس في دار الحديث نجد العلوم الشرعية والعقلية نذكر منها التفسير الفقه، الحديث، الفرائض، العقائد، لأدب، الأصول، المنطق، النحو، التجويد، البلاغة، ودراسة الإنشاء، والحساب، والتاريخ والجغرافيا كما انتهجت الجمعية في مسارها العديد من الطرق والوسائل كجلب الكتب المدرسية والوسائل العلمية حسب

الاستطاعة المادية والتربوية كما لم يتوقف عمل الجمعية عن هذا بل تعدى إلى إنشاء مراكز حرة لتعليم الصغار بالإضافة إلى تنظيم محاضرات في النوادي الثقافية، كما أوجدت مكتبة ثرية تخدم المستشار التعليمي للطلبة المتمدرسين فالمدرسة تمثل تجربة هامة في مسار الحركة الإصلاحية في مدينة تلمسان رغم العوائق والمشاكل العديدة التي تعرضت لها كغلقها بعد ثلاثة أشهر من فتحها وهذا رغم سماح السلطات الفرنسية وتقديم ترخيص لأعضاء الجمعية بالتدريس هذه الممارسات كانت من أهم العراقيل التي واجهت الجمعية علماء المسلمين الجزائريين في مدينة تلمسان فضلا عن المواجهة الفكرية والدينية مع الزوايا والطرق الصوفية لأنها كانت تمثل استغلالا روحيا وماديا للبسطاء من الناس، كما اتهمت بجملة من الاتهامات مثل أنها أو تحرض من قبل الإدارة المحلية سنة 1938 ولعبت جهود الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وأهل تلمسان والنواب المسلمين وكذلك دفاع الجمعية الذين قدموا احتجاجا إلى الدوائر المسؤولة فكان من نتائج هذا الجهد هو نفي الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في 1939/08/04 إلى أفلوا ليتوقف نشاط المدرسة إلى غاية 1943 ثم إلى غاية سنة 1956وبالرغم من ذلك فقد اهتمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتلمسان بتأطير المدارس القرآنية والكتاتيب لتحفيظ القرآن وكذلك التوعية في إطار مشروعها الإصلاحي في لغرب الجزائري لكنها واجهت صعوبات ومشاكل لإيصال هذا البرنامج الاصلاحي إلى أهدافه المسطرة بالإضافة إلى النقص المالي لتمويل وتسيير شؤونها ومنشآتها ومشاريعها الاصلاحية[6] الأخرى فضلا عن مشاكل التحريض والوشاية لدى الإدارة الفرنسية التي كانت في أغلب الحالات تغلق وتلاحق قانونيا[7] كما ادعى روادها وأساتذتها فان التجربة التعليمية لجمعية العلماء المسلمين لتلمسان كانت لمواجهة الأمية ورفض الاستغلال للطرق الصوفية خاصة في مسائل العقيدة والتوحيد، كما كانت جهودها ضد المستعمر الذي ساند هذه الطرق بشتى الوسائل لإبعاد الجزائريين عن الاعتقاد الصحيح بشتى الوسائل المادية والادعائية[8].

2-2. مدرسة عبد المومن بن علي بندرومة:

يعتبر الحاج محمد بن رحال أحد رؤساء الجمعية الإصلاحية بالمنطقة وفي سنة 1948م، اشترى اسطبلا من الأخوين مصطفى والطاهر بن إبراهيم وبنى عليه مدرسة ومسجدا وأطلق عليه اسم مدرسة عبد المومن بن علي، وتم الافتتاح يوم 11سبتمبر1949م بحضور الشيخ البشير الابراهيمي، عملت هذه المدرسة بإحياء اللغة العربية وتعليم وتحفيظ القرآن الكريم وإبراز الهوية الوطنية والشخصية العربية ذو المعالم الاسلامية وسطع نورها الاصلاحي في مدينة ندرومة، أغلقت المدرسة في ماي 1956م، وتم اعتقال معلميها.

3.2-مدرسة التربية والتعليم بالغزوات:

يعتبر محمد القباطي من أشهر المصلحين في المنطقة حيث شرع في بناء المدرسة سنة 1945م، بعد أن فتحت الجمعية في وقت سابق سنة 1937م، وهي عبارة عن مدرسة صغيرة يدرس فيها أبناء المصلحين، أما هذه الأخيرة احتوت على قسمين ومسجد وكان الافتتاح يوم 26سبتمبر1948م، تحت اشراف الشيخ البشير الابراهيمي، بلغ عدد تلامذتها أكثر من 200 تلميذ، ركزت على التوعية الاصلاحية بتأطير المسلمين وتحسيسهم بواجبهم نحو وطنهم والتمسك بشخصيتهم الاسلامية والعروبة لدفع أذى الكفار الذي كان يريد سلخ المسلمين من مقوماتهم، أغلقت من طرف الادارة الاستعمارية يوم 09 سبتمبر 1957.

4.2-مدرسة التعليم العربي بأولاد ميمون:

كانت بداية الإشعاع الاصلاحي في المنطقة فتح محل صغير قرب المطحنة القريبة يدرس فيه الشيخ الأخضر القباطي، وفي أوائل سنة 1948م تم فتح مدرسة وسميت بمدرسة التعليم العربي، احتوت على قسمين للتدريس وقاعة كبيرة للصلاة، افتتحت على يد الشيخ

السعيد الزموشي والشيخ الأخضر القباطي والشيخ بن عودة علي والشيخ الصديق ركزت على تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي وأهم فروعه كما ساهمت بتوعية الطلبة بالواجب الوطني والهوية الوطنية، أغلقت مع انطلاق الثورة التحريرية.

5.2-مدرسة التربية والتعليم بصبرة:

سطع نور هذه المدرسة ابتداء من 25 أفريل 1945م، عن طريق الشيخ السعيد الزموشي والأستاذ عبد الوهاب بن منصور، وتشير بعض الكتابات أن الأستاذ العربي محمد الرميلي قد سبق هؤلاء في الإشراف على مدرسة قديمة قبلها، فبلغ عدد تلامذتها أكثر من 250 تلميذ وتلميذة، كما احتوت المدرسة على ثلاث أقسام ومن برامجها تعليم المناهج العلمية والإصلاحية أنتجت ثلة من الطلبة حملوا راية الفكر الإصلاحي.

3- المدارس التعليمية الفرنسية:

1.3-نشأة المدارس الفرنسية العربية بتلمسان ما بين 1900-1954:

أنشأت الإدارة الفرنسية المدارس والمراكز التربوية بمدينة تلمسان من أجل فرض التعليم الرسمي الفرنسي والذي يطبق برنامجها الاستعماري ويخدم مصالحها فقدرت عدد المدارس الابتدائية منها والعليا ب 18 قسما و 02 من المستوى التحضيري و12 قسما من المستوى الابتدائي و04 مدارس عليا منها واحدة للبنات، حيث تخرجت منها نخبة نسوية حافظت على نشاطها الاجتماعي[9].

فالملاحظ حول مصير هذا العدد الكبير من الأقسام الدراسية في مدينة تلمسان هو أن الكثير منها أغلق ونشط لمدة قصيرة في الفترة الاستعمارية ومن دوافع ذلك هو تخوف أولياء التلاميذ من المدارس الفرنسية خاصة في سنوات الاستعمار وهذا حيطة على الهوية الإسلامية

كونها أغلب أطرها رجال دين مسيحيين بالإضافة إلى نقص التمويل المادي الذي دفع بالعائلات الجزائرية إلى ترك التعليم والتوجه إلى العمل في وقت مبكر لكن بعض الاصلاحات القانونية والتي كانت مع نهاية الحرب العالمية الثانية حسنت ظروف المدرسة الفرنسية فتم على إثرها جلب العديد من الأساتذة والمعلمين المتخصصين في التعليم العربي إضافة إلى تدريس بعض المواد باللغة العربية وهذا ما بدل الأوضاع نسبيا وعليه ؟أصبح العنصر المحلي التلمساني من مرتادي هذه المدارس الفرنسية.

2.3- مراحل التدريس العربي الفرنسي:

1.2.3- المستوى التحضيري:

برمج التعليم الفرنسي كما هو معلوم بالطور التحضيري لتعلم المبادئ البسيطة للآداب واللغة وتحفيظ الحروف والمعاني والكلمات أي الطريقة السليمة للنطق ومبادئ الحساب والجغرافيا إلى جانب مادة الرسم وهذه المهمة كان يقوم بها الآباء البيض والأخوات البيض كعمل تطوعي ينطوي على تعليم ونشر أفكار معينة وهذا ما جعلها تقتصر على أبناء المستوطنين قبل اصلاحا ت جول فيري التي مست المنظومة التعليمية الفرنسية في الدوائر، أما فيما يخص الحجم الساعي لهذا الطور فقدر ب12 ساعة خلال الأسبوع كما لاحظنا من خلال بحثنا أن هذا المستوى لا تدرس فيها اللغة العربية.

2.2.3- المدرسة الابتدائية:

شيدت في مدينة تلمسان مدارس على مستوى الابتدائي الأول والتي تعرف أيضا بالمدارس الفرنسية الاسلامية ويتعلم فيها التلاميذ الحساب والجغرافيا واللغة بالإضافة إلى الأشغال اليدوية ثم الرسم الحجم الساعي لهذا الطور قدر ب 16 ساعة خلال الأسبوع كما

يعتبر هذا المستوى مثل الأول لا تدرس فيه اللغة العربية أيضا[10] ثم يتلقى التلميذ مستوى ثاني وهو المتوسط أو ما يعرف بالتعليم الأساسي من أهم مدارسه مدرسة دوسلان ابن خلدون حاليا.

ومن أشهر المدارس التي اهتمت بالتعليم الفرنسي الرسمي في مدينة تلمسان نذكر: المدرسة دوسلان متوسطة ابن خلدون collège de salon والتي كانت تسير من طرف البلدية collège de communale فاشتملت على ثلاثة مستويات تعليمية: الأول للابتدائي والثاني للمتوسط والثالث افتتح مؤخرا متخصص للثانوي، كما نضيف أسماء بعض المدارس التعليمية في مدينة تلمسان:

- مدرسة العباد
- مدرسة سيدي الحلوي
- مدرسة دي سيو يقع بحي القلعة مدرسة الأوبالي حولت اليوم متحف التاريخ والفن بتلمسان
- مدرسة منصورة[11].

تركز التعليم الفرنسي في هذا الطور أي الثانوي على المواد التالية: اللغة، النحو ، التاريخ والجغرافيا الفرنسية، التربية البدنية، الحساب، وتنتهي هذه المرحلة بشهادة الكفاءة[12].

المدرسة الثانوية: تأسست هذه المدرسة بتلمسان (المدرسة العليا) لجلب الطلبة واستقطابهم والمسمات Mederssa de Tlemcen وذلك بتاريخ 1850/09/30 بقرار رئاسي والتي تقع بالقرب من مسجد العباد، ففي البداية جهزت لاستقطاب الفئات العربية تفاديا لتعليم الزوايا ومنع هجرة أهل تلمسان نحو المدارس المغربية والمشرقية فبدأ الاتصال بها منذ سنة 1903 وافتتحت من قبل الحاكم العام شارل جونار والمدير الأول للمدرسة المستشرق ألفراد

بيل فكانت تسير هذه المدرسة الوحيدة في تلمسان من قبل مدير فرنسي يتقن العربية إلى جانب الفرنسية أو من نخبة المدينة إلى جانب أساتذة آخرين يتم تعيينهم من قبل وزير الحربية وهذا باقتراح من الوالي العام ومن أبرز المدراء الذين ترأسوا المدرسة الفرنسية الإسلامية بتلمسان: جورج مارسي هو الذي كان يدرس الحساب والتاريخ والجغرافيا والقوانين الفرنسية كما تولى أيضا التفتيش للتعليم الأهلي في الجزائر ومن مؤلفاته: الآثار الإسلامية، كما ترأس هذه المدرسة من الجزائريين القاضي سي أحمد بن أبي طالب لمدة سنتين ومحمد ابن عبد الله والطالب بن حمزة.

وفيما يلي، نورد إحصاء لعدد التلاميذ النظاميين والأحرار والمتحصلين على الشهادة من قبل دراسة أجراها ألفراد بيل:

السنة	عدد التلاميذ النظاميين	عدد التلاميذ الأحرار	المتخرجون الحاصلون على الشهادة
1900[13]	37	08	08
1902	33	03	/
1905	47	05	08
1908	64	15	/
1910	54	07	02
1911	54	07	02
1936[14]	41	/	/
1953	1460	/	/

فاستخلصنا من هذا الجدول تزايد عدد المتمدرسين التلمسانيين وهذا راجع إلى عدة أسباب نذكر منها:

- تخفيف شروط الالتحاق المادية والتربوية.
- الاصلاحات التي مست البرامج.
- منع الهجرة والدراسة في الخارج وهذا لخوف الإدارة الاستعمارية من تنامي الفكر الإصلاحي الذي كان مصدره المشرق العربي

فلا يمكن الالتحاق بهذه المدارس إلا بعد تحصل الطالب على شهادة الكفاءة من طور التعليم الابتدائي الذي تقدر مرحلة التكوين بـ 3 سنوات بعد إخضاعه لاختبار على البقاء أو الرسوب

أنجبت هذه المدارس نخبة موالية مؤطرة للإدارة الفرنسية تمثلت في قضاة ومفتشين ومعلمين، كما أوجدت كذلك نخبة أرستقراطية تلمسانية تسير مصالح المستعمر

اشتمل برنامج هذه المدرسة في مدينة تلمسان على الأدب والقانون والفقه ففي مرحلتها الأولى تطبق نفس برامج المراحل الأخرى وهذا لمنافسة ما كان يدرس في المساجد والكتاتيب والزوايا[15] أما المرحلة الثانية فقد أدرجت مواد لم تكن في الأطوار الأخرى كالهندية وعلم الفلك على غرار حذف مادة العقائد وتغيير تحجيمها الساعي كما لا يسمح للطالب بالإعادة إلى مرة واحدة ليتحصل في نهاية هذا الطور على شهادة التأهيل التي يستطيع العمل بها في قطاع الشؤون الدينية مثل العون، الحزاب، المؤذن، المعلم (تدريس الأطفال المستوى التحضيري) أو في قطاع العدالة مثل الوكيل، الخوجة، الدلال عند القاضي[16] أما عن أهم انجازاتها التعليمية فقد تخرج منها مجموعة من الطلبة والأساتذة الذين درسوا بمدارس ثانوية مدينة تلمسان منها ثانوية دوسلان[17] وهم غوثي بوعلي، عبد القادر محداد، محمد علال، وبمدرسة (العباد) الأستاذ بن يوسف بغدادي[18] وعليه نستنتج أن تلاميذ هذه المدارس ارتقوا بالنجاحات التي حققوها رغم العجز المادي وفئة أبناء المعمرين المنافس الدائم التي نصف

هذه الحالة بالمزرية والتي لا تقارن مع وضع الأوربيين في المدينة فأنتجت هذه المدارس نخبة مزدوجة اللغة والثقافة برزت في مجال التعليم والصحافة والتأليف فحركت ونشطت الوضع الثقافي والاجتماعي المحلي في الساحة الجزائرية فتحدت جميع قيود الاستعمار الفرنسي الذي عمل جاهدا بكافة الوسائل لإطفاء نور التعليم والتقدم في مدينة تلمسان خاصة وفي الجزائر عامة.

عملت النخبة التلمسانية ورغم ما عانته من صعوبات ومضايقات وتردي لأحوال الاجتماعية إلا أنها حركت الوضع الثقافي وأحيته في المدينة في ظل أجواء ميزتها السيطرة والاضطهاد وتعسف الإدارة الاستعمارية[19] والتي كانت الأمل الوحيد لتحرير الفكر والوعي القومي بكافة أبعاده الوطنية من خلال تأسيس جمعيات ثقافية ونوادي وبناء مراكز ومؤسسات دينية (المسجد، الكتاتيب، زوايا) على مستوى الغرب الجزائري والتي عملت على بعث النهضة العلمية في مدينة تلمسان فكان هذا انتشارا واسعا حتى وصلت إلى مغارب ومشارق البلاد فحافظت على ذلك الالتفاف واللحمة المحلية الأصلية من خلال نوعية نشاطاتها ودروسها كما أوصلتنا هذه الدراسة لهذا الواقع التعليمي في المدينة إلى استخلاص بعض النقاط كذلك نذكر منها:

- تجربة جمعية العلماء المسلمين النضالية من خلال تأسيس مدرسة دار الحديث، تجربة رائدة وأصيلة في المغرب العربي عامة وتلمسان خاصة فلا توجد جمعية ولا تنظيم يضاهي ما قامت به من إنجازات محققة وذلك رغم افتقار الجزائر إلى مؤسسات تعليمية ودينية مرجعية مثل جامع القرويين بالمغرب وجامع الزيتونة بتونس.

-تلاميذ وطلاب مدينة تلمسان ظلوا متمسكين بالمدارس القرآنية رغم انتسابهم غلى المدارس الفرنسية فيلتحقون بالقرآنية باكرا وبعد نهاية الدوام إلى المدارس الفرنسية فهذا

الجمع بين الانتساب إلى المدرستين لا نجد له تفسيرا إلا الغيرة والحرص على الهوية الوطنية والإيمان بالتعليم الوطني الذي يستجيب بمطالبهم ويشجع حاجاتهم.

- تأسيس المدارس الحرة ما هو إلا ردة فعل على إدخال المدرسة الفرنسية وظهور أهداف الإدارة الاستعمارية المتمثلة في الغزو الفكري لعقول الجزائريين وتشويه عادات وأعراف المجتمع الجزائري.

- مسألة التعليم بتلمسان شكلت نقطة اهتمام وتلاقي مختلف تنظيمات الحركة الوطنية وقد تصدر المطلب التعليمي ومجانيته مختلف العرائض التي تقدمت بها الإدارة الفرنسية وكذلك الشأن بالنسبة لبرامجها التي لم تخلوا من مطلب التعليم وضرورة بناء المدارس.

- وضع التعليم بمدينة تلمسان لم يكن بتلك الصورة القائمة التي وصفها بعض الدارسين والمؤرخين الفرنسيين الذين اعتبروه تعليما رتيبا يجتر نفسه في الكتاتيب والزوايا القرآنية.

الخاتمة:

لقد واجه الاستعمار الفرنسي طيلة احتلاله للجزائر مقاومة شديدة اختلفت أشكالها وأنواعها فشكلت المقاومة الثقافية من خلال التعليم إحدى حلقات هذه المقاومة فتمكنت من إفشال جل مخططاته في الميدان الثقافي فمن خلال دراستنا لواقع التعليم في مدينة تلمسان توصلنا إلى مجموعة من النتائج نذكر منها ما يلي:

- إن وضع التعليم في مدينة تلمسان لم يكن في تلك الصورة القائمة التي وضعها بعض المؤرخين الدارسين الذين اعتبروه تعليما رتيبا يجتر نفسه في الكتاتيب القرآنية والمساجد.

- مسألة التعليم في تلمسان خاصة والجزائر عامة شكلت اهتمام وتلاقي مختلف تنظيمات الحركة الوطنية وقد تصدر مطلب تعميمه ومجانيته مختلف العرائض التي تقدمت بها الإدارة

الفرنسية وكذلك الشأن بالنسبة لبرامجها التي لم تخلو من مطلب التعليم وضرورة بناء المدارس.

- تأسيس المدارس الحرة ما هو إلا رد فعل على إدخال المدرسة الفرنسية وظهور أهداف الإدارة الاستعمارية المتمثلة في الغزو الفكري لعقول الجزائريين وتشويه عادات وأعراف المجتمع الجزائري.

- تعتبر تجربة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين النضالية من خلال تأسيس مدرسة دار الحديث تجربة رائدة وأصيلة في المغرب العربي فلا توجد تنظيم ولا جمعية تضاهي ما قامت به والإنجازات المحققة وذلك رغم افتقار الجزائر على مؤسسات تعليمية ودينية مرجعية مثل جامع القرويين بالمغرب وجامع الزيتونة بتونس.

- تلاميذ مدينة تلمسان ظلوا مرتبطين بالمدارس القرآنية رغم انتسابهم للمدارس الفرنسية فكانوا يلتحقون بالمدارس القرآنية باكرا وبعد نهاية الدوام إلى المدارس الفرنسية وهذا الجمع بين الانتساب إلى المدرستين لا نجد له تفسيرا إلا في الغيرة والحرص على الهوية الوطنية والإيمان بالتعليم الوطني الذي يستجيب لمطامحهم ويشجع حاجاته.

الهوامش:

1-الدرارين: جمع كلمة درار، هي لقب يطلق على معلم القرآن الكريم وكذلك بعض العائلات التي تحمل هذا اللقب، أنظر حسين مدني، التعليم الفرنسي في الجزائر 1884-1914 الغرب الجزائري نموذجا، مذكرة لنيل شهادة ماجستر في تاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والحضارة، قسم التاريخ علم الآثار جامعة وهران 2012-2013، ص 62.

2- الشيخ بوعروق: من مواليد مدينة سبدو تقع جنوب مدينة تلمسان له انجازات علمية من الأزهر بمصر مزدوج اللغة له توجه اصلاحي اسلامي عقد مجالس التفسير بالمسجد الكبير بتلمسان، توفي بسبدو زفي سنة 1920، كما كان مناظرا للمستشرقين الفرنسيين الأخوين ويليام وجورج المهتمين بالواقع الثقافي والديني بتلمسان، أنظر خالد مرزوق المرجع السابق، ص ص 52-53.

3-هي عبارة عن قصائد مختصرة تبين أركان الإسلام وشروط القيام بالفروض والواجبات وكذلك تاريخ مختصر للسيرة النبوية الشريفة والنحو والفقه الإسلامي تدرس هذه المتون بعد حفظ القرآن الكريم في نفس الزاوية القرآنية.

4- الجيلالي ساري، برزو النخبة المثقفة، المرجع السابق، ص ص 345-346.

5- كان الاهتمام باللغة العربية كبيرا من طرف الجمعية التي حاربت القرار الذي أصدره شوطان بتاريخ 08 مارس 1938، الذي يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية، أنظر تركي رابح ، الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ط5، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر 2001، ص 376.

6- توضح الاحصائيات في سند 1954 أن بحوزة الجمعية 13 مدرسة تتوزع على المدن التابعة لمقاطعة تلمسان نذكرها في ما يلي: مدرستين بمدينة تلمسان، الحناية، مغنية، صبرة، أولاد ميمون، عين غرابة، غزوات، بني صاف، أما عدد التلاميذ النظاميين قدر ب 2315 تلميذ، أنظر ABDERRAHIM talebbendiab, tlemcen dans les année cinquante, revue algerienne des science juridique et politique, n spéciale, 1978, p90.

7-أحمد طالب الابراهيمي، آثار محمد البشير الابراهيمي، ج1، ط1، 1929-1940، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1997، ص 09.

8- شارل أندريه جوليان، افريقيا الشمالية تسير، القوميات الاسلامية والسيادة الفرنسية، تر: المنجي سليم وآخرون، دار التونسية للنشر،، الشركة الوطنية للكتاب ، تونس، الجزائر، 1976، ص 27.

9- اعتمدت في هذه الاحصائيات على الارشيف المحلي للمدارس العربية المختلفة والمخصصة حسب الجنس بحسب ما يحتويه أرشيف بلدية تلمسان.A-M-T : fichiers, les boites : 16-66

10-حياة ثابتي، المرجع السابق، ص 320، وأنظر أيضا حسين مدني، المرجع نفسه، ص 38.

11-Djilali sari, op cit , p p 131-137.

12-الجدير بالذكر هو أن الاستعمار الفرنسي كان يمنع تدريس تاريخ وجغرافيا الجزائر سعيا منه من محو آثار التي تربطه بجذوره، نقلا عن جريدةالمنار ،الجمعة 17 نوفمبر 1952 السنة الثانية، ع11، دار البصائر الجزائر، 2007، ص 04.

13- احصائيات لسنة 1900 إلى 1912 مأخوذة من مرجع حسين مدني، التعليم الفرنسي بالجزائر 1884-1914 ص ص 84-87.

14- الجيلالي صاري، بروز النخبة المثقفة الجزائرية، المرجع السابق، ص 201.

15-نفسه، ص 67.

16- حسين مدني، المرجع السابق، ص 68.

17- تقع مدرسة دوسلان بشارع الكولونال لطفي ومدرسة التعليم الفرنسي المسلم هي المتحف حاليا تخرجت منها العديد من الأساتذة منهم عبد الحميد قلوش، محمد علال، سي قدور بن غبريت، 1868-1954 عميد مسجد باريس والاستاذ غوثي بوعلي 1872-1932 مدرس بالمدرسة الاسلامية وبن يوسف بغدادي أستاذ بالمدرسة الاسلامية (medersa) أنظر جلالي صاري تلمسان والنخبة التلمسانية، المرجع السابق، ص ص 67-68.

18- تخرج من هذه المدارس نخبة من الأساتذة مثل جلول بلقلفاط، وجيلالي فار الذهب من مدرسة ديسيو 1857-1901وبمستوى أعلى نذكر أحمد إينال 1951-1931، تحصل على شهادة ليسانس تاريخ، أنظر جيلالي صاري، تلمسان والنخبة التلمسانية ذات الامتداد الوطني، تر أحمد بن محمد بوكلي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2011 ص ص47-48

19C-A-W-T : l'avnire de tlemcen – vendredi, 10 mai 1901, N°475, p 03.